



ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: <https://lark.uowasit.edu.iq>



*Corresponding author:

Dr.Natiq Najm Abdullah Alzirgani

University: Wasit University
College: / Faculty of Education
for Human Sciences
Email: nnajim@uowasit.edu.iq

Keywords:

statement, capacity,
narrowness ,
comprehensiveness , data,
analytical

ARTICLE INFO

Article history:

Received 20 Apr 2023
Accepted 8 May 2023
Available online 1 Jul 2023

Extension and Contraction in Qur'anic Al-Bayan Verses: A Discourse Analytical Study

A B S T R U C T

In this research, we attempt to explore a collection of Quranic verses and the possibility of establishing a comprehensive understanding through the Quran itself, away from the later textual interpretations that have been analyzed and assigned comprehensive dimensions based on specific linguistic approaches, specific mechanisms, and analytical studies in linguistic data.

This Quranic foundation is based on the idea of the Quranic text's expansiveness and inclusivity, encompassing all aspects of life, including scientific, medical, astronomical, and political aspects. If this is realized, it will establish a solid intellectual framework to support a broad comprehensive understanding of the Quranic text. It does not concern us whether the researcher achieves this comprehensive interpretation, what matters is that there are numerous Quranic verses that establish the issue of the Quran's expansiveness and inclusivity. Our task then is to strive to discover these ideas through specific methodologies and mechanisms.

What we need to do now is a detailed analytical study of selected Quranic texts that represent Quranic inclusivity through semantic linguistic approaches, with the purpose of reaching evidence of this expansiveness, narrowness, or refuting it.

Keywords: Elucidation, expansiveness, narrowness, inclusivity, linguistic data, analytical.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/>

آيات البيان القرآني بين السعة والضيق ، مطالعة تحليلية في المعطيات اللغوية

م.د ناطق نجم عبد الله الزركاني/ جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

فكرة الشمول القرآني رؤية تبنها مشهور علماء المسلمين مستندين في ذلك الى ادلة عقلية وحديثية وقرآنية ، ومهمتنا في هذا البحث مطالعة الادلة القرآنية التي تعد منطلقا رئيسا في تعزيز فكرة الشمول القرآني ، وانّ القرآن الكريم يعدّ مصدرا شاملا لكل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وذلك بالاستناد إلى

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

نصوص الشمول القرآني وهي نصوص قرآنية متعددة فنسند الى مطالعة هذه النصوص بالكشف عن الموجهات اللغوية والدلالية المكتنفة في هذه النصوص والداعمة لفكرة الشمول القرآني .

نحاول في هذا البحث أن نتعرف على جملة من الآيات القرآنية وإمكانية أن يُؤسَّسَ لفهم شامل بوساطة القرآن نفسه , بعيداً عن النصوص القرآنية ذات الأبعاد الشمولية التي جرى التَّنْظِير لها لاحقاً وتحميلها للأبعاد الشمولية بحسب مقاربات لغوية خاصة وإعمال آليات محددة ومطالعات تحليلية في المعطيات اللغوية .

إنَّ هذا التَّأْسِيس القرآني قائم على فكرة اتساع وشمولية النَّص القرآني واستيعابه لكل جوانب الحياة المتعددة بما فيها الجانب العلمي والطبي والفلكي والسياسي , واذا ما تمَّ التَّحَقُّق من ذلك عندئذ سننتشغل بنية فكرية تحتية رصينة لصالح وجود فهم شمولي واسع للنَّص القرآني , ولا يهمننا بعد ذلك إذا ما استطاع الباحث الوصول إلى هذه الدلالة الشاملة أو تلك , فالمهم أنَّ هناك آيات قرآنية عديدة تؤسس لقضية سعة القرآن الكريم وشموله , وعلينا أن نجتهد في الكشف عن هذه الأفكار عبر مناهج وآليات محدَّدة .

إنَّ ما علينا فعله الآن هو مطالعة تحليلية في نصوص قرآنية منتقاة تمثل الشُّمول القرآني بمقاربات لغوية دلالية لغرض الوصول لإثبات ذلك الاتساع او الضيق أو نفيه .

الكلمات المفتاحية: البيان ، السعة ، الضيق ، الشمول ، المعطيات ، تحليلية

آيات البيان القرآني بين السعة والضيق (مطالعة تحليلية في المعطيات اللغوية) :

ورد في القرآن الكريم آيات متعددة حفّزت عددا من العلماء للقول بشمولية المعارف القرآنية لما في هذه النصوص من دلالات على الاطلاق والعموم المناسب لفكرة الشمول , وقد اختلفت توجيهاتهم النظرية في مطابقة هذا الشمول وملاءمته للواقع , وافترضوا احتمالات عدّة , لكن بحثنا غير معني بإيراد الاحتمالات المتعددة للتأصيل النظري لفكرة الشمول القرآني , إنما نعني هنا بالبحث عن الموجهات اللغوية التي اكتنفت نصوص الشمول القرآني , والنصوص الدالة على الشمولية هي :

- 1- قوله تعالى : ((مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)) (الانعام : 38) .
- 2- قوله تعالى : ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) (النحل : 89) .
- 3- قوله تعالى : ((أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)) (الانعام : 114) .
- 4- قوله تعالى : ((وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (الاعراف : 52) .

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

5- ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ أَحْسَبَ وَأَحْسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)) (الاسراء : 12) .

وغيرها من الآيات القرآنية الدالة على شمولية القرآن لكل نواحي الحياة , والسياسة هي واحدة من النواحي التي لها تأثيرها المباشر على حياة الإنسان والمجتمع .

ومن خلال تتبعنا آراء المفسرين يمكننا أن نصيغ مقاربات لغوية ودلالية لهذه النصوص القرآنية , وبمبعتها وبالإذعان لها تصلح أن تكون دليلاً ومستنداً قرآنياً للمطلوب وبخلافه يسقط هذا الدليل , وعلينا عندئذ البحث في الأدلة الأخرى .

المطالعات التحليلية في المعطيات اللغوية والدلالية لآيات البيان القرآني :

بعد أن عرضنا النصوص القرآنية ذات البعد الشمولي في البيان القرآني , نبدأ هنا بالكشف عن المعطيات

اللغوية التي أعطت هذه النصوص مقصدية الشمول القرآني , ويمكن اجمالها على النحو الآتي :

أولاً : الملاحظ ان اهم نص قرآني استند اليه لبيان شمولية المعارف القرآنية هو قوله تعالى : ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)) ، النحل : 89 ، وما يمكن ملاحظته هنا ان هذا المقطع القرآني اقتطع من سياقه اللفظي المتصل كي يستدل به على الشمول القرآني ، فهذا النص القرآني هو جزء من اية اخرى هو قوله تعالى : ((ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)) ، النحل : 89 ، فالواضح من سياق الاية بتمامها هو الحديث عن يوم الحساب ، وما يؤكد ذلك ويعززه الاية التي سبقتها مباشرة ، وهو قوله تعالى : ((الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)) النحل : 88 ، وهذا يقودنا الى القول ان التبيان الذي اشارت اليه الاية المباركة ليس تبيان كل شيء من امور الدنيا (الشمول المعرفي) بل تبيان كل شيء من امور الآخرة ، المحاسبة يوم الآخرة ، وليس للذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ان يماروا في ما اتاهم من هذا التبيان ، فالرسول الذي سيبعث معهم يوم يبعثون سيكون شهيدا عليهم ، فقد بعثه الله لهم هدى ورحمة ، ولكنهم بصددهم عنه واما جاءهم به من بيان كتبوا على انفسهم عذابا فوق العذاب ، ذلك ان عذاب من يبين لهم كل شيء من قواعد المحاسبة في الدنيا ليس في الكم والكيف كمثله عذاب غيرهم ، ممن لم يبين لهم شيء ، ولم يبعث اليهم برسول ينذرهم مسبقا بما ينتظرهم ، فما ابعد هذا التبيان لكل شيء عن معنى العلم بكل شيء لمن علمه ، والجهل بكل شيء لمن جهله (الطرابيشي ، 148 ، ط2019)

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

ثانياً : إنَّ المقصود بالكتاب في الآيات القرآنية هو القرآن الكريم , كي يصح أن نقول إنَّ القرآن الكريم هو شامل لكل شيء , وتبيين لكل شيء , إذ إنَّ لفظة (الكتاب) مشتقة من مادة (كتب) وهو ((يدل على جمع شيء إلى شيء)) (معجم مقاييس اللغة , مادة (كتب) : 5 / 158) ، وذكر الرَّاعِب الأصفهاني أنَّ الكُتُب ((ضمَّ أديم إلى أديم بالخياطة يقال : كتب السُّفهاء , وكتبت البغلة : جمعت بين شفرها بحلقة ، وفي التَّعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط)) (الاصفهاني , مادة : (كتب) : 699 ط4) .

وبملاحظة هذا الأصل اللغوي , استعمل القرآن الكريم هذه المادة بمعانٍ عدة (ينظر تفصيل هذه المعاني في البيان في روائع القرآن ، و حسنان : 1 / 213 _ 216 ط2) منها :

((فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْفُوتًا)) (النساء : 103) ، ودلالاتها على سجل أعمال العبد كقوله تعالى : ((وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا)) (النبا : 29) ، وكقوله تعالى : ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ)) (المطففين : 7) ، واستعملت بمعنى القدر والسَّجَل والموعِد المحدد كقوله تعالى : ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً)) (آل عمران : 145) ، واستعملت للدلالة على الكتب المقدسة كقوله تعالى : ((وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)) (البقرة : 213) ، واستعملت للدلالة على خصوص القرآن الكريم كقوله تعالى : ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ)) (آل عمران : 3) .

ولمَّا كان (الكتاب) يطلق على معانٍ مختلفة , فلا بدَّ أن نحرز أن نصوص الشُّمول القرآنية استعمل فيها لفظ (الكتاب) بدلالة القرآن الكريم , وليس بدلالة أخرى , وهو ما ذهب إليه جملة من المفسرين كما سيوضح لنا ذلك لاحقاً .

ثالثاً : دلالة التَّفْصِيل : وردت لفضة (مفصلاً) و (تفصيل) وصفاً للكتاب , ولكي يدل (الكتاب) الذي هو القرآن الكريم على الشُّمول , لا بدَّ أن يكون المراد من التَّفْصِيل هو تناول جزئيات الأمور واستيعابها في قبال الإجمال الذي يعني التَّنَاول العام لموضوع ما ، وهذا المعنى متواجد في آيات تفصيل الكتاب بشموليته واستيعابه بما يخدم نظرية الشُّمول القرآني .

رابعاً : استعمال (كل) بدلالاتها الحرفية : فهي من أدوات العموم ، ولها دلالة الشُّمول والاستيعاب , كقوله تعالى : ((تبييناً لكل شيء)) (النحل : 89) ، يكون القرآن الكريم بحسب دلالة (كل) الوضعية مستوعباً

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

لكلّ شيء فما دامت (كل) من ألفاظ العموم , والعام ((يدل على شمول اللفظ لجميع أفراده من غير حصر)) (العك : 380 ط2) ، فهي من الألفاظ التي وضعت وضعاً واحداً , وهي تشمل وتستغرق كل ما انطبق عليه مضمونها , ومقصود دلالتها , فلفظ العام ((دالّ بالوضع على شموله لجميع أفراده , ما لم يرد المخصّص فالأصل فيه بقاؤه على عمومه , ولولا ورود المخصّص لبقى على ذلك العموم)) (متعب : 113 ط1) .

إنّ الاعتقاد بوجود هذه المقاربات اللغويّة الدلالية كانت مدعاة للقول بالشمول القرآني لدى عدد من علماء المسلمين كمحيي الدين بن عربي , وأبي حامد الغزالي , وجلال الدين السيوطي, إذ قالوا باشمال القرآن على العلوم جميعها , وهو مبدؤها ومنتهاها (ينظر : ابن عربي : 2 / 77 ، وينظر: السيوطي : 4 / 33 ، وينظر: الغزالي :8).

وهناك من رأى شمول القرآن الكريم لكل معارف الدّين كالزّمخشري إذ يعلّق على كون القرآن تبياناً لكلّ شيء بقوله : ((إنّه يبين كلّ شيء من أمور الدّين , حيث كان نصّاً على بعضها وإحالة على السنة)) (الزمخشري : 2 / 628 ط3)

وهناك من رأى أنّ في القرآن الكريم إشارات لكل شيء , فيرى الطباطبائي أنّ القرآن تناول بدلالته اللفظية كل ما يتعلق بجوانب هداية البشر, لأنّه كتاب هداية , وبإمكانه أن يدلّ على كلّ الأشياء من خلال الإشارة وغيرها (ينظر : الطباطبائي: 2 / 334) .

الردود اللغوية لآيات البيان القرآني :

الأدلة والمقاربات التي قدمناها لم تكن موضع تسليم وقبول عند علماء المسلمين , والباحثين في الشأن القرآني , وهم في قبال ذلك قدموا أدلة متعددة لمعارضتها , والذي يهمننا هو معرفة التّفود التي يمكن تصورها , أو قدّمت بإزاء المقاربات اللغويّة والدلالية , ويمكن إجمالها على النحو الآتي :

أولاً : تغيير دلالة لفظة (الكتاب) : قلنا : بنى القائلون بشمولية المعارف القرآنية على أنّ المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم , وهذا أمر لا يمكن التّسليم به , فقوله تعالى : ((مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)) (الانعام : 38) ، فهناك احتمال كبير أنّ يكون المراد بالكتاب , هو الكتاب التّكويني , لا الكتاب التّشريعي , فقيل المراد بالكتاب كما نقل الواحدي – الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان وما يكون , وهو

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

اللوح المحفوظ , وهو قول ابن عباس , والآية على هذا التأويل عامة , وتدلُّ على أنَّ كلَّ ما في الدُّنيا من حادث قد سبق به القضاء , وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ (ينظر: الواحدي: 8 / 123 ط2), بل إنَّ الظاهر بقريظة السِّيَاق أنَّ (الكتاب) غير ظاهر في القرآن , فتمام الآية : ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمْ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)) (الانعام : 38) , ففي مثل هذا السِّيَاق الذي يتحدث عن أمور تكوينية في الخلق والبحث يصبح من الأقرب تفسير الكتاب باللوح المحفوظ وما شابهه (ينظر : حيدر حب الله : 235 ط1) , وعليه فأقرب المعاني إلى سياق الآية هو أن يراد بالكتاب ما أريد منه في السُّورة نفسها , أي الكتاب على ذلك اللوح الحاوي للعلم الإلهي الرَّبَّاني (ينظر : حيدر حب الله : 235 ط1) , وبذلك يبطل الاستدلال بالآية على شمولية القرآن الكريم وتبيناته لها , ومنها الأمور السِّيَاسِيَّة .

أمَّا النُّصوص القرآنية الأخرى التي اشتملت على الكتاب , فسياق هذه الآيات يكشف أنَّ (الكتاب) هو القرآن الكريم , ولكنَّ الاستدلال بهذه النُّصوص على شمول القرآن واستيعابه لكلِّ المعارف متوقف على الإذعان والتَّسليم بالمقاربات الأخرى , وهذا ما سيوضح لنا .

ثانيا : قلنا في المقاربة التَّانية أنَّ توصيف الكتاب بالتَّفصيل يعطي للقرآن الشُّمولية بشرط أن تكون دلالة التَّفصيل على الشُّمول والاستيعاب , وهذا أيضا ممَّا لا يمكن التَّسليم به , إذ إن (فصل) في اللغة تعني الإبانة , و الفصل إبانة الشَّيئين عن الآخر حتى يكون بينهما فرجة , وسمِّي القيامة بيوم الفصل أي اليوم الذي يبين الحق من الباطل , ويفصل بين الناس بالحكم , ولسان مُفَصِّل أي مبيِّن (الاصفهاني : مادة (فصل) : 638) , وعلماء التَّفسير مالوا الى تفسير التَّفصيل والمفصل بالبيان عمَّا في الكلام من معنى , فالتَّفصيل عندهم هو ما يرد لإزالة اختلاط المعاني المبهمة في المجل , وتبيناتها للمتلقى حتى يحصل الاطمئنان القلبي من بعد أن تملكه الشبهة من جهة إبهام المجل , فالتَّفصيل عندهم هو ما يقابل المجل , الذي يعني : ((ما لا ينبني ظاهره على المراد منه مفصلاً)) (الطوسي : 5/1 ط1) , أو هو : ((ما لا يفهم المراد منه)) (القرطبي : 218/2 ط2) , وبهذا يكون التَّفصيل هو : ((تمييز المعاني على وجه يزول معه اللبس)) (الطوسي : 418/4 ط1) , فوصف القرآن بأنَّه فصِّل آياته , أو فيه تفصيل يعني أنَّه كتاب واضح وبيِّن , وليس المراد من تفصيل القرآن استيعابه وشموله , وإنَّما بيانه ووضوحه , وتمايز مفاهيمه عن بعضها , بحيث لا تختلط فتنشوش (حب الله : 97) .

ثالثا : عدم دلالة (كل) على العموم : صحيح أنَّ علماء العربية قالوا بدلالة (كل) على العموم والإطلاق , وبحسب ذلك مضى أصحاب نظرية الشُّمول القرآني لتعزير رؤيتهم , لكن البحث تحولت وجهته إلى أن ورود

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

لفظ عام في نصوص الشريعة , ولم يقد دليل على وجود مخصص له , فكانت المسألة موضع خلاف عند العلماء , ومن خلال استقراء كلمات المفسرين نجد أنهم يرون أن دلالة العام ظنيّة لا قطعيّة , فإن أكثر ما ورد من ألفاظ العام أريد به بعضه , حتى قيل : ما من عام إلا وخصّص , وإنه بالاستقراء اللغوي , نجد التخصيص اللغوي يدخل كثيراً من ألفاظ العموم , ممّا يجعل احتمال التخصيص قائماً وممكناً , وحيث كان احتمال التخصيص قائماً فإنّ ذلك يورث احتمال في كل جزء من جزئيات العام , فتصير دلالة العام على ما يشمله دلالة ظنيّة لا قطعيّة (متعب:106، ط1), واستدلوا على رأيهم هذا بأدلة متعددة منها :

1- إمكان دخول التأكيد على لفظ العموم :

إذ لو كان كل لفظ عام يقتضي العموم بظاهره لما كان لدخول التأكيد عليه معنى , لأنّه كان يلتقي في ذلك باللفظ الدال على العموم , وإنّما ثبت العكس , فإنّ كثيراً من النصوص القرآنية ورد لفظ العام فيها مؤكداً ممّا يفيد العموم , كقوله تعالى : ((فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)) (الحجر : 30 ، ص: 73) , إذ لو كان اللفظ ظاهراً في العموم لاكتفى به من دون توكيد لفظ (أجمعون) ف ((دلالة اللفظ العام لا يكون قاطعاً في الاستغراق , بل ظاهراً على سبيل الظنّ القوي)) (ابن عادل : 413/1) .

2-آيات الوعيد ليست على عمومها :

إذ لاحظ المفسرون أنّ آيات الوعيد, كقوله تعالى : ((وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ)) (الانفطار : 14) , وقوله تعالى : ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) (المائدة : 44) , قد وردت ألفاظ العموم فيها وهي غير محمولة على عمومها ؛ لأنّ آيات العفو بالنسبة الى آيات الوعيد خاصة بالنسبة إلى العام , والخاص مقدم على العام لامحالة(متعب:106، ط1), وإذا قلنا بغير ذلك , أي إنّ آيات العفو , كقوله تعالى : ((أُنذِرْنَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَّا لَمَدِينُونَ)) (الزمر : 53) , غير مخصصة لآيات الوعيد , وإنّ كليهما على نحو العموم فيستلزم التّرجيح بينهما , ولّمّا كان الوفاء بالوعد أدخل في الكرم من الوفاء بالوعد , فكان ترجيح عمومات الوعد الأولى (الشريبي 227/1) , ومن ذلك استدلو على أنّ دلالة العام على أفراده ظنيّة لا قطعيّة (متعب:106، ط1).

3- وجود آيات في القرآن الكريم ظاهرها العموم والمراد منها الخصوص .

لاحظ المفسرون أنّ كثيراً من الآيات التي وردت فيها ألفاظ العموم , كلفظ (كل) لكنهم لاحظوا أنّه لم ترد هذه النصوص في العموم , وهي كثيرة في القرآن الكريم : كقوله تعالى : ((ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ))

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

((النحل:69) ، وقوله تعالى : ((تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)) (الاحقاف : 25) ، وقوله تعالى : ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ))(الانعام:44)، وقوله تعالى : ((إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا))(الكهف:84)، وقوله تعالى : ((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ))(النمل:23) ، وغيرها من الآيات الكثيرة التي لا يمكن الإذعان بأن ورود (كل) فيها يعطيها دلالات العموم .

فالآية ((تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا))(الاحقاف:25) تبين أن الريح تدمر كل ما مرت به من رجال عاد , إذ إن الآية في سياق إرسال العذاب لقوم عاد , ومعنى الآية أنها لم تقدر العموم في تدميرها لكل شيء , بل اختصت برجال قوم عاد فحسب , فهي محمولة على الخصوص , وإن كان ظاهرها العموم , فهي - أي الريح - ((تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجمع الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية)) (الزمخشري:4/307ط3) .

والآية : ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ))(الانعام:44) لا يعقل أن الله فتح عليهم كل شيء على الإطلاق .

وقوله تعالى : ((إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا))(الكهف:84)، لا يعقل أنه كان لذي القرنين سبب لكل شيء على الإطلاق , بحيث كان يمكنه الذهاب في الفضاء مثلاً , أو صناعة القنبلة الذرية .

وهكذا الحال في الآيات الأخرى , وهذا كله يدلنا على أن استعمال (كل) في القرآن الكريم ليس على نحو ما يقوله الأصوليون في السور المنطقي للقضية المنطقية , وهو الشمولية المطلقة والموجبة الكليّة , في حين أن اللغة العربية والنص القرآني لا يستعملان (كل) على هذا النحو , بل يستعملانها في موارد الكثرة , والوفرة .

إذن تعبيرات العموم في الاستعمال العربي والقرآني توظف في حالتين :

أ – حالة العموم الحقيقي الشامل بنحو الموجبة الكليّة أو السالبة الكليّة , كما هي الحال في كليّة القضايا في الأدبيات المنطقية .

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

ب – صيرورة التركيب بنفسه بياناً للكثرة الكاثرة , وكأنَّ غير الدَّاخل في العموم ملحق بالعدم لقلته , أو لعدم أهميته ولو بالقياس والمقارنة تماماً كالتراكيب اللُّغويَّة التي تتحول الى أسلوب من أساليب البيان (حيدر حب الله: 101، ط1).

وبهذا تكون أفاظ العموم , ولاسيما (كل) من أدوات بيان السِّعة والكثرة والغلبة والأهميَّة والشُّمول معاً , فكأنها موضوعة بنحو المشترك اللفظي أي موضوعة للدلالة على الكثرة والعموم , ويأتي دور السِّياق في تحديد أي منهما أريد , وهذا لا ينافي إمكان التَّمسك بالإطلاق الموجود أحياناً في مدخول أدوات العموم في إثبات الشُّمولية لو تَمَّت حيثيَّات الإطلاق , وهو ما يكون عادة في الجمل الإنشائية من الأمر والنَّهي ونحو ذلك (حيدر حب الله: 101، ط1).

ووفقاً لهذا التَّوجيه لأفاظ العموم , نعرف أنَّ كون القرآن الكريم (الكتاب) تبيانياً لكلِّ شيء لا يفيد العموم حتى يكون دليلاً على تناوله للأفكار السياسيَّة وتبنيه منها سياسياً معيناً , بل هذا الإطلاق مقبَد , فبعضهم يرى أنَّ المقصود من شمولية القرآن هو شموليته للأحكام والمسائل الدينية كافَّة , أي ما يتعلق بالحلال والحرام , والأوامر والنواهي الإلهية , وينسب هذا الرأي لابن عباس (الفيروز ابادي: 229).

وهناك من يرى أنَّ شمولية القرآن تدور حول ما يتعلق بأمر الهداية فقط , وقد مال إلى هذا الرأي غالبية المفسرين والمفكرين في الوقت الحاضر (كريمي: 288، ط1).

ومثاله على ذلك ابن عاشور إذ يخصص هذا العموم في كون القرآن الكريم تبيانياً لكلِّ شيء بأنه تبيان لما فيه إصلاح النَّاس والمجتمع , قال : ((وكلِّ شيء يفيد العموم , إلا أنَّه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشَّرائع من أحلام النَّفوس والجمال والأخلاق وتقويم المجتمع المدني , وتبيين الحقوق , وما تتوقف عليه الدَّعوة من الاستدلالية على الوحدانية وصدق الرَّسول (صلى الله عليه وسلم) ...)) (ابن عاشور: 253/14) , وخصَّص الطَّباطبائي العموم بأمر الهداية, إذ إنَّ القرآن الكريم لمَّا كان كتاب هداية كان الظَّاهر أنَّ المراد بكلِّ شيء , كلِّ ما يرجع إلى أمر الهداية ممَّا يحتاج إليه النَّاس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشَّرائع الإلهيَّة والقصص والمواعظ , فهو تبيان لذلك كلِّه (الطَّباطبائي: 325/12).

من ذلك نعرف أنَّ السِّياق , ومناسبات الحكم والموضوع , يفرض أنَّ الكليَّة هنا بملاحظة الهداية والإرشاد وتقريب الإنسان نحو الله سبحانه وتعالى , وما فيه صلاحه وكماله من هذه الجوانب , كما لو قال شخص إنَّ

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

هذا المتجر (الصيدلية) فيه كل شيء , فلا يفهم من هذا الكلام إرادة الشمولية بإطلاقها , بل الشمولية المتعلقة بالأدوية والعلاجات , وهذا يفهم من سياق الحديث , ومناسبة الحكم للموضوع .

والحق إنَّ محاولة التَّشكيك في دلالة شمولية القرآن لكلِّ المعارف وفقاً للنُّصوص القرآنيَّة , لا ينفي عدم اشتمال القرآن للمعارف السِّياسية , إذ من السَّهل جداً على القائلين بوجود فهم سياسي في القرآن أن يردُّوا بما محصله : إنَّنا لو سلَّمنا بتخصيص شمولية معارف القرآن بما يتعلق بأمر الهداية , فإنَّ هذا يكون بصالحنا أيضاً , إذ إنَّ السِّياسة لها مدخل أساس في حفظ سلوك الفرد والمجتمع ممَّا ينعكس أثره على هدايته وظلاله , فالسِّياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام, ومن الطَّبيعي جداً أن يكون القرآن الكريم مشتملاً على المعارف السِّياسية , وبهذا يكون التَّأصيل لرؤية الشُّمول القرآني هو تأصيل قوي لوجود الفكر السِّياسي في القرآن .

الخاتمة والنتائج

من خلال جميع ما تقدم وبعد هذا العرض التفصيلي لآيات البيان القرآني ظهر لنا جليا النتائج الآتية :

❖ مثلت فكرة شمولية الشريعة المؤسس لها قرآنياً أصلاً موضوعاً وقاعدة تحتية انطلق منها الباحثون للتدليل على وجود فكر سياسي قرآني بعكس الاتجاه الآخر الذي انطلق من قاعدة عدم شمول الشريعة وعدم كفاية الأدلة للانطلاق لنفي وجود فهم سياسي للنص القرآني.

❖ على الرغم من أن أصحاب فكرة شمولية الشريعة على وفق القرآن الكريم قدّموا أدلة ومستندات لغويّة ودلاليّة أزاء نصوص شمولية الشريعة ، إلا إنَّ البحث في قبال ذلك قدّم مقاربات لغوية ناقصة لتلك الأدلّة اللغوية ليخلص البحث بعد ذلك إلى نتيجة مفادها أن آيات شمولية الإطلاق لا تصلح دليلاً لإثبات استيعاب القرآن لجميع جوانب الحياة بما فيها الجانب السياسي ، وإنَّ الإطلاق الوارد في هذه النُّصوص هو إطلاق لبيان شمولية القرآن لقضايا الهداية والإرشاد وتقريب الإنسان نحو الله سبحانه وتعالى وما فيه صلاحه وكمالته ، ومن الممكن أن يستدل على شمولية القرآن واستيعابه بأدلة أخرى من غير النصّ القرآني ، وهي عندئذ أدلة خارج موضوع تخصص هذا البحث ؛ لذلك لم نتعرض لها.

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

❖ قدّم الأصوليون جهوداً كبيرةً في محاولة منهم لتخليص القرآن الكريم من شرطه التّاريخي ليتسنى بعد ذلك مواكبة القرآن لمستجدات العصر ومتغيراته ، فاستحدثوا آليات كثيرة لهذا الغرض منها : آلية العموم وآلية النّسخ وآلية الإطلاق والتقييد ، واخترنا منها آلية العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لكونها الآلية الأكثر قدرة في تحقيق الغرض المنشود.

المصادر والمراجع :

- ❖ الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ، تحقيق : د . محمّد متولي منصور ، مكتبة دار التراث للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 1421 - 2010 م
- ❖ أصول التفسير وقواعده ، الشيخ خالد عبد الرحمن العك ، دار النفائس ، ط 2 ، بيروت ، 1406 هـ - 1986 م
- ❖ البيان في روائع القرآن ، د . تمّام حسان (ت 2011 م) عالم الكتب ، القاهرة ، ط 2 ، 1420 هـ - 2000 م
- ❖ التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي (ت 460 هـ) تحقيق أحمد حبيب قصير ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1 (د . ت)
- ❖ التحرير والتنوير ، محمّد طاهر بن عاشور (ت 1392 هـ) الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 م
- ❖ التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468 هـ) جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية ، ط 1 ، 1430 هـ
- ❖ تنوير المقياس عن تفسير ابن عباس ، جمعة مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م
- ❖ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، (ت 671 هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط 2 ، 1384 هـ - 1964 م
- ❖ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، محمد حسن النجفي (ت 1216 هـ) دار احياء التراث العربي ، لبنان ، ط 7 (د . ت)
- ❖ حجّية السنة في الفكر الإسلامي قراءة وتقويم ، حيدر حب الله ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط 1 ، 2011 م

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

- ❖ الدين حدوده ومدياته دراسة في ضوء النص القرآني ، مصطفى كريمي ، تعريب محمّد عبد الرزاق ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2010 م
- ❖ رحمة من الرحمن في تفسير واشارات القران الكريم من كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي جمع وتأليف محمود محمود الغراب ، مطبعة النصر (د . ت)
- ❖ السّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشّربيني (ت 977 هـ) مطبعة بولاق ، القاهرة ، 1285 هـ
- ❖ شمول الشريعة ، بحوث في مديات المرجعية القانونية بين العقل والوحي ، حيدر حب الله ، دار روافد ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1439 هـ - 2018 م
- ❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت 538 هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1407 هـ
- ❖ اللباب في علوم الكتاب ، أبو جعفر سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني (ت 775 هـ) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1419 هـ - 1998 م
- ❖ معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، 1979 م
- ❖ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت 495 هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، انتشارات ذوي القربى ، ط 4 ، 1425 هـ
- ❖ الميزان في تفسير القرآن ، محمّد حسين الطباطبائي (ت 1402 هـ) مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، 1417 هـ - 1997 م
- ❖ وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين ، د . فاضل مدب متعب ، بيت الحكمة ، العراق ، بغداد ، ط 1 ، 2012 م

Sources and references:

- ⊗ Perfection in the Sciences of the Qur'an, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), investigation: d. Muhammad Metwally Mansour, Dar Al-Turath Library for Printing and Publishing, Cairo, 1st Edition, 1421-2010 AD
- ⊗ The Fundamentals of Interpretation and its Rules, Sheikh Khaled Abdul Rahman Al-Ak, Dar Al-Nafais, 2nd Edition, Beirut, 1406 A.H. - 1986 A.D.
- ⊗ The statement in the masterpieces of the Qur'an, d. Tammam Hassan (d. 2011 AD) The World of Books, Cairo, 2nd edition, 1420 AH - 2000 AD
- ⊗ Al-Tibian fi Tafsir Al-Qur'an, Abu Jaafar Muhammad bin Al-Hassan Al-Tusi (d. 460 AH), investigated by Ahmed Habib Kassir, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1st Edition (D.T).
- ⊗ Liberation and Enlightenment, Muhammad Taher bin Ashour (d. 1392 AH), the Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AD.
- The Simple Interpretation, Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad al-Wahidi (d. 468 AH), Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1st edition, 1430 AH.
- ⊗ Tanweer al-Miqias on the interpretation of Ibn Abbas, Juma Majd al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub al-Fayrouzabadi (d.
- ⊗ Al-Jami' Ahkam Al-Qur'an (Tafsir Al-Qurtubi), Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr Al-Qurtubi, (d.
- ⊗ Jawaher Al-Kalam fi Explanation of the Laws of Islam, Muhammad Hassan Al-Najafi (d. 1216 AH), Dar Revival of Arab Heritage, Lebanon, 7th edition (Dr. T).
- ⊗ The Authenticity of the Sunnah in Islamic Thought, Reading and Evaluation, Haider Hoballah, The Arab Expansion Foundation, 1st edition, 2011 AD

Religion, its limits and ranges, a study in the light of the Qur'anic text, Mustafa Karimi, Arabization of Muhammad Abd al-Razzaq, Civilization Center for the Development of Islamic Thought, Beirut, 1st edition, 2010 AD

⌘ Mercy from the Most Merciful in Interpretation and Signs of the Holy Qur'an from the words of Sheikh Muhyiddin Ibn Al-Arabi, compiled and authored by Mahmoud Al-Gharab, Al-Nasr Press (Dr. T).

⌘ Al-Siraj Al-Munir in Helping to Know Some of the Meanings of the Words of Our Lord, the Wise, Shams Al-Din Muhammad Bin Ahmed Al-Khatib Al-Sherbiny (d. 977 AH) Bulaq Press, Cairo, 1285 AH

⌘ The Comprehensiveness of Sharia, Research in the Ranges of Legal Reference between Reason and Revelation, Haider Hoballah, Dar Rawafed, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1439 AH - 2018 AD

⌘ The Scout for the Realities of the Mysteries of Downloading, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr al-Zamakhshari (d. 538 AH), Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 3rd edition, 1407 AH.

Al-Labbab fi Ulum al-Kitab, Abu Jaafar Siraj al-Din Omar bin Ali al-Dimashqi al-Nu'mani (d. 775 AH) investigation: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawgoud, and Sheikh Ali Muhammad Moawad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1419 AH - 1998 AD

⌘ Lexicon of Language Measures, Ahmed bin Faris bin Zakaria (d. 395 AH), investigation: Abd al-Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1979 AD

⌘ Vocabulary of the Words of the Qur'an, Al-Raghib Al-Isfahani (d. 495 AH), investigation: Safwan Adnan Dawoodi, Insharat Dhu Al-Qurabi, 4th edition, 1425 AH

- ⌘ The Balance in the Interpretation of the Qur'an, Muhammad Hussain Al-Tabatabai (d. 1402 AH) Al-Alamy Foundation, Beirut - Lebanon, 1417 AH - 1997 AD
- ⌘ The functions of Quranic sciences between interpreters and fundamentalists, d. Fadel Medb Mutaib, House of Wisdom, Iraq, Baghdad, 1st edition, 2012 AD